دور بريطانيا في توطين اليهود في مدينة القدس ١٨٣٨ـ١٩١٧م

د.صالح علي الشورة*

تاريخ وصول البحث: ٢٤/ ٥/ ٢٠١٨م تاريخ قبول البحث: ٢٥/ ٧/ ٢٠١٨م

ملخص

ترصد هذه الورقة الدور الإنجليزي المبكر في توطين اليهود في القدس وهي تبحث في الدور الرسمي البريطاني وغير الرسمي حيث يعود الاهتمام الرسمي باليهود في القدس من قبل بريطانيا إلى سنة ١٨٣٨م وهي السنة التي أقامت بريطانيا قنصلية لها في القدس والتي كانت تتبنى سياسات متنوعة لفرض كثافة عددية يهودية في المدينة المقدسة. كما ستؤرخ الورقة للدور البريطاني غير الرسمي والذي برز من خلال رجال المال والصناعة والمؤسسات غير الرسمية البريطانية المختلفة ويمكن أن تكون جمعية القدس الأدبية التي تأسست سنة ١٨٤٩م برئاسة القنصل البريطاني في القدس المستر "فن Finn" هي السبّاقة في هذا المجال. لقد تستّر اليهود وراء غايات دينية لكسب العطف، والتأييد من جماهير اليهود للسيطرة على فلسطين بشكل عام، والقدس بشكل خاص. وتحالفت الحركة الصهيونية مع الدوائر الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا التي أدركت أهمية القدس من جميع جوانبها. حيث اتخذت الأخيرة من الحركة الصهيونية؛ أداة لتحقيق مصالحها الاستعمارية في المنطقة العربية.

كلمات مفتاحية: القدس، بريطانيا والقدس، الهجرات اليهودية للقدس

Abstract

This paper observes the early English role in settling the Jews in Al-Quds and investigates the British formal and non-formal role therein. The British formal concern with the Jews in Al-Quds goes back to the year 1838 when Britain established a consulate in Al-Quds, while adopting various policies to impose a Jewish numerical superiority in the sacred city. The paper will also chronicle the history of the non-formal British role that rose through Men of finance and industry and the different British non-formal institutions,

*أستاذ مشارك، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الآداب والعلوم، جامعةالعلوم الإسلامية العالمية.

and the forerunner in this affair could be the Jerusalem Literary Society of 1849 which had been headed by Mr. Finn, the British consul in Al-Quds at that time. The Jews had concealed behind religious purposes to acquire sympathy and support from crowds of the Jews to dominate Palestine in general and Al-Quds in particular. The Zionist movement allied with the imperialistic circles, particularly Britain who perceived the significance of Al-Quds in all aspects and hence exploited the that movement to achieve its colonial interests in the Arabic region.

Keywords: Jerusalem, Britain and Jerusalem, Jewish Emigrations to Jerusalem

المقدمة:

أدركت بريطانيا أهمية موقع فلسطين على الخارطة العالمية كونها ملتقى لطرق التجارة العالمية بين قارات العالم القديم، فسعت أولا: إلى تقويض حلم محمد على باشا في حكم بلاد الشام، وثانياً: زرع كيان غريب عن نسيج المنطقة، بحيث تضمن ولاءه لها فوجدت ضالتها في يهود أوروبا.

سعى ساسة بريطانيا إلى إذكاء فكرة العودة بين يهود أوروبا إلى فلسطين واستغلال أهمية القدس الدينية بالنسبة لليهود، وبما أن القدس تشكل بؤرة جذب لليهود في التعبئة الفكرية والإيديولوجية، وعاملًا مهمًا في إذكاء الشعور الديني لتحقيق الوجود اليهودي في فلسطين، تم إنشاء صندوق استكشاف فلسطين[١] من أجل ربط حاضر اليهود بماضيهم لتحقيق المنفعة لكل أوروبا وبريطانيا على وجه الخصوص لرغبتها في إحكام سيطرتها على العالم، ومن هنا فإن فكرة المشروع الصهيوني قد تبلورت قبل ولادة (ثيودور هرتزل) بعشرين عاماً، فنشأ ذلك (العقد الصامت) كما يسميه المسيري بين بريطانيا ويهود أوروبا على أساس تبادل المنافع، فاستقبل اليهود هذا المبدأ (البرجماتي) بالقبول لا بل وتسخير عشرة ملايين عميل يهودي يعملون لصالح بريطانيا.

يتركز هدف الدراسة على تسليط الضوء على الدور البريطاني الكبير في العمل على تغيير الواقع الديمغرافي لمدينة

القدس بشكل خاص، وذلك لتسهيل التعبئة الإيديولوجية المرتبطة بقدسية المكان في الفكر اليهودي. وقد قامت الدراسة على المنهج الاسترجاعي التاريخي المتسلسل مع الأخذ بعين الاعتبار الجانب التحليلي للوصول إلى ما يثبت فكرة البحث، خاصة وأن الباحث أدرك عامل الزمن، أو ما يعرف عند ابن خلدون بتبدل الأحوال. لذا جاء التنقيب عن الدور البريطاني في توطين اليهود في القدس في سياق التصاعد التاريخي للأحداث وتحولاتها المتسارعة، وأما بالنسبة إلى إشكالية الدراسة وأهميتها فإنها تكمن في رصد الدور البريطاني الخطير وأهدافه البعيدة الغير معلنة لوجوده في فلسطين والذي بدأ فعليًا مع انشاء القنصلية البريطانية في القدس سنة ١٨٣٨م، التي لعبت دورًا كبيرًا في تهيئة فلسطين عامة والقدس خاصة لاستقبال المهاجرين اليهود، ومن ثم تقديم الحماية لهم.

التمهيد:

إن وضع اليهود داخل أوروبا الغربية قد تحدَّد منذ العصور الوسطى باعتبارهم وسيلة لا غاية ولا أهمية لهم في حد ذاتهم، إذ تعود أهميتهم إلى مدى نفعهم. ولذا لم يكن من الغريب أن تتحول الجماعات اليهودية إلى جماعات وظيفية/ يستفاد منها، وهي جماعات يجلبها المجتمع من خارجه أو يجندها من داخله ويوكل إليها وظيفة محددة (التجارة، والربا) بحيث يعرف أعضاء هذه الجماعات في ضوء وظيفتهم النافعة البسيطة وليس في ضوء إنسانيتهم الشاملة المركبة[٢].

سيطر محمد علي باشا على القدس سنة ١٨٣٠م فتوجه لكسب ود الدول الأوروبية، حيث أمّن طريق الحجاج إلى القدس وأزال أشكال التمييز الرسمي ضد أتباع الطوائف الدينية غير الإسلامية، وأصبح هؤلاء يعاملون على قدم المساواة مع سائر رعايا الحكم الجديد، فوقعت فلسطين بصورة عامة والقدس بصورة خاصة، منذ ذلك التاريخ في دوامة المنافسة الأوروبية في سياق "المسألة الشرقية"[٣]. ولعل "جيمس فنئ James Finn ١٨٠٦-١٨٧٢م" القنصل البريطاني الثاني للقنصلية البريطانية في القدس، الذي تولى إدارة القنصلية (١٨٤٦-١٨٦٤م) جاء على هذه الفكرة بالقول: "لو قيض لمحمد علي أن يؤازر طرفًا على الآخر، لكان سيؤيد اللاتين نظرًا لعدد الفرنجة/ الفرنسيين العاملين في قواته المسلحة وفي الإدارة المدنية لحكومته، ونظرًا لعدم اهتمامه بأي

من العقائد الدينية، فقد استن سنّة سياسية تتمثل في كبح مثل هذه النزعات بيد من حديد، ميزت فترة احتلاله بأكملها"[٤]. وقد ورد كتاب من وزارة الخارجية البريطانية يصف الوضع في القدس بشكل دقيق حينما قال: "أن القدس مركز المسألة الشرقية ومركز الغموض المستمر، تتم المعارك حول المسائل السياسية بأسلحة كنائسية"[٥] ومن جهة أخرى مكّن محمد علي للأوروبيين التغلغل السياسي، والديني، والثقافي، حيث سمح لهم بفتح قنصليات في داخل البلاد، وبتوسيع النشاطات الدينية التبشيرية والاعتراف بمؤسساتهم"[٦].

بواكير السياسة البريطانية في الوجود اليهودي في القدس:

كان لبريطانيا قصب السبق في إقامة أول قنصلية لها في مدينة القدس سنة ١٨٣٨م، وهذا عائد إلى الاهتمام بشكل رسمي باليهود في فلسطين من قبل بريطانيا في المدة ذاتها، وقد عينت لقنصليتها "وليم يونغ William Young"[*] في حين لم يكن لبريطانيا وكنيستها الانجيليكانية أي حقوق أو مصالح تدعيها في علاقاتها بالقدس، فعمدت إلى ادعاء قيام قنصليتها بالقدس لحماية مصالحها ورعايتها"[٧].

كان الدافع وراء تحمّس بريطانيا لخلق وطن لليهود في المنطقة العربية هو الرغبة في التخلص منهم باعتبارهم شعبا منبوذًا وليس حباً بهم. فأوروبا حضارة نفعية مادية تتجاوز الحب والكره وتلتزم بأمر واحد وهو تحويل العالم إلى مادة استعمالية لا قداسة لها، وكما يقول "اللورد بالمرستون Lord Palmerston"[٨] وزير خارجية بريطانيا (١٨٣٠-١٨٤١م) ورئيس وزرائها (١٨٤٦-١٨٥١م) "ليس لنا أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون، بل مصالح دائمة"[٩] ومن هنا ساندت الدول الأوروبية العثمانيين على طرد محمد علي من بلاد الشام ولكن بعد زوال الحكم المصري، تحتّم على الدولة العثمانية أن تبقي على التغييرات التي أرساها حكم المصريين، فأصبح للأوروبيين اليد الأطول في التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية خاصة فيما يتعلق بنفوذ هذه الدول أو من يمثلها في القدس.

بعد أن تمكنت الدولة العثمانية من استعادة بلاد الشام وفق معاهدة لندن ١٨٤٠م"[١٠]، تنافست الإرساليات الأجنبية فيما بينها على إرسال رجال الدين وبناء الكنائس، والأديرة، والمستشفيات، والمدارس في القدس وضواحيها، وكانت جمعية لندن

للتبشير بالنصرانية بين اليهود التي تأسست عام ١٨٢٥م، أسبق هذه الإرساليات، فأصبح لها بعد عام ١٨٤٠م مركز للإرسالية في القدس[١١]. وقد ركزت معظم المدارس التي فتحت في القدس في تلك الحقبة على التعليم الديني، وهو الأمر الذي من شأنه أن يعزز العلاقة بين الأرض والإنسان، وهذا ما ألمحت له وثائق وزارة الخارجية البريطانية[١٢].

حصلت بريطانيا على حصتها الكاملة في التدخل بشؤون الدولة العثمانية، وذلك بسبب أنها صاحبة الفضل في طرد محمد علي من بلاد الشام وإعادتها إلى رقبة الدولة العثمانية، وقبل ذلك هي التي وقفت في وجه غزو بونابرت لمصر وسواحل الشام ١٧٩٩-١٨٠١م.وهذا جعل السياسة البريطانية تؤكد عدم قدرة الدولة العثمانية على الاستغناء عنها من غير الاستمرار في تقديم مساعداتها لها[١٣].

اشتركت بريطانيا وبروسيا في عام ١٨٤١م في تأسيس أسقفية إنجليكانية في القدس غايتها التبشير بالمذهب البروتستنتي بين اليهود، وكان "مايكل الكسندر Michael Alexander"[*]، اليهودي الأصل أول أسقف لها، وهو الذي عمل على تنصير اليهود واعادتهم (عودة اليهود) " Jews of The Restoration"[١٤]. وقد بين شافتسبري[*] أن الشعب اليهودي يمكن توظيفه في خدمة بريطانيا لأنه جنس معروف بمهارته ومثابرته الفائقة، ويستطيع أعضاؤه العيش في غبطة وسعادة على أقل شيء، فقد ألفوا العذاب عبر العصور الطويلة، وهم علاوة على هذا شعب مرتبط ببقعة جغرافية محددة خارج أوروبا هي فلسطين، فبعثهم لا يمكن أن يتم إلا هناك، كما أن وجودهم في هذه البقعة يمثل عنصرا حيويا في الرؤية المسيحية للخلاص[١٥]، إلا أن نجاح القس "الكسندر" في هذا المجال لم يتجاوز في الواقع الحد الأدنى[١٦]، فلم يكن في القدس سوى ثلاث عائلات يهودية قبلت بالمسيحية على المذهب البروتستنتي، ونظرا لسيطرة المصالح البريطانية على الأسقفية، انسحبت بروسيا منها[١٧]؛ وقد ميزت الوثائق العثمانية بين يهود القدس وبين اليهود الأوربيين الطارئين عليها فوصفتهم بـ "اليهود الموسوية العثمانية"[١٨]. ولذلك فإن خليفة إلكسندر "صموئيل غوبات Samuel Gobat"[*] الذي عينته بروسيا وفقاً للدور المتفق عليه مع بريطانيا[١٩]، قد نحّى الأساس (تنصير اليهود) جانباً، ووجه حماسته التبشيرية إلى المسيحيين الأرثوذكس العرب[٢٠]، وفي موازاة هذا التحول في

نشاطات الأسقفية والتوجهات السياسية، وضع اليهود في فلسطين تحت الحماية السياسية المعززة لبريطانيا[٢١]. وقد نتج عن ذلك كله نشاط تبشيري مكثف، وتنافس حاد بين الإرساليات التبشيرية المختلفة، خاصة وأن النطاق الجغرافي لسلطة القنصل البريطاني شملت كافة أراضي فلسطين الممتدة من مصر إلى لبنان، بالوقت الذي انحصرت فيه مهام القناصل الأوربيين الآخرين داخل نطاق مدينة القدس[٢٢].

تحسنت أوضاع الطائفة اليهودية في القدس تحت ظل الحكم المصري، فقد غازل الحكم المصري البريطانيين بداية وغيرهم من الأوربيين على حساب العرب المسلمين، فأعفى اليهود من المغارم التي كان الباشا العثماني يفرضها عليهم، وأصبح لهم تمثيل في المجالس المحلية الجديدة، وكان ممثل طائفة اليهود في مجلس شورى القدس الشريف "الخواجة رونة" خلال الحكم المصري[٢٣]، واضطرت السياسة العثمانية بفعل تدخل الأجانب أن تبقي على الأوضاع التي آلت إليها أحوال اليهود في القدس حتى بعد استردادها من حكم محمد علي، فظهرت الطائفة اليهودية في مجلس الولايات العثماني الذي تم تشكيله عام ١٨٤٨م[٢٤]. وقد رفع تمثيل اليهود لاحقًا في المجلس نفسه إلى اثنين هما: فاليروواميزليغ[٢٥].وقد "منحت الحكومة المصرية كما يقول "فن" قدرًا كبيرًا من الارتياح العاطفي لقاطني مدينة القدس من غير المسلمين، وجاء تأسيس القنصليات في المدينة المقدسة كنعمة إضافية... وبشكل أكثر أهمية لليهود المساكين"[٢٦]. وترتب على ذلك كله، تدفق اليهود على القدس بأعداد كبيرة للاستيطان فيها، بعد الحصول على تراخيص بناء مساكن وأمكنة عبادة لهم خارج أسوار المدينة[٢٧]، ويظهر التحسر على حال اليهود بعد انتهاء الحكم المصري في مذكرات "فن" الذي قال" حملت تعليمات بالمرستون في طياتها اعترافًا مفاده أن اليهود إن هم إلا أمة قائمة بحد ذاتها...ولا يمكن التنبؤ بماهية المستقبل الذي سيتشكل بعد طرد المصريين من بلاد الشام"[٢٨]. قام السير "موسى مونتيفيوري Moses Montefiore[*]" الثري اليهودي البريطاني، بزيارة إلى فلسطين سنة ١٨٣٥م، وفي العام نفسه عمل على تأسيس أول مدرسة لليهود في مدينة القدس[٢٩]، وقد شجعت هذه الأعمال، فيما بعد، اليهود على التقدم إلى مجلس الشورى المحلي في القدس بطلب السماح لهم بشراء الأملاك، والأراضي مقابل دفع مبالغ معينة من المال للحكومة مثل باقي الرعايا والمواطنين، إلا أن

هذا الطلب قوبل بالرفض من محمد على باشا، خوفاً من نقمة الأهالي، ويمكن أن يعبر الكتاب الذي أرسله إلى متسلم القدس عما ذهبنا إليه: "...ولدنا العزير مصطفى آغا العبد متسلم القدس...ورد لنا تحرير، وفي طيه جورنال وارد من مجلس القدس الشريف... من وكيل طائفة "السكناج(*)" بالقدس الشريف بقصد الاستعلام بأنه هل يترخص لهم بشراء الأملاك والأراضي... وفهمنا كيفية جواب المجلس بأن هذه ما سبق لها أمثال، بالوجه الشرعي أيضا غير مساعد للمستأمنين المذكورين في جميع ما يستدعون حيث أراضي تلك الديار برّية ووقفية، فالتماسهم بذلك لا يوافق حكم الشريعة"(٣٠).

الدور البريطاني الرسمي في دعم اليهود:

تستّر اليهود وراء غايات دينية لكسب العطف، والتأييد من جماهير اليهود للسيطرة على فلسطين بشكل عام، والقدس بشكل خاص، وتحالفت الحركة الصهيونية مع الدوائر الاستعمارية التي أدركت أهمية القدس من جميع جوانبها، حيث اتخذت الأخيرة من الحركة الصهيونية، أداة لتحقيق مصالحها الاستعمارية في المنطقة العربية، فقد اهتمت بريطانيا بتوطين اليهود في فلسطين لإيجاد ركيزة لها، تمكنها من التدخل في شؤون الدولة العثمانية، ابتداءً، الأمور المالية والقضاء وانتهاءً، الشؤون الطائفية والقرارات السياسية(٣١). ولّما كان تقطيع أوصال الدولة العثمانية وتجزئتها، أمراً غير وارد في القرن التاسع عشر، فإن الدول الأوروبية لم تجهد نفسها لفرض سيطرتها الإقليمية في فلسطين بل سعت لبسط نفوذها(٣٢)، وكانت أسهل الطرق لذلك، سياسة حماية الأقليات الدينية، لذلك سعت بريطانيا إلى تأسيس أسقفية إنجليكانية في القدس، كما ورد أعلاه، فأجرت بريطانيا مفاوضات مع محمد على الذي وافق على فكرة بناء كنيسة إنجليزية وليس أسقفية؛ فوق جبل داوود، وبالفعل فقد بوشر بتشييدها خلال الحكم المصري، إلا أن الحكومة العثمانية، وبعد استردادها لبلاد الشام، بإيقاف العمل ببناء الكنيسة(٣٣)، ثم عادت ووافقت على فكرة إنشاء مكان مخصص لعبادة البروتستانت داخل حرم المسكن القنصلي في بيت المقدس(٣٤).

أقامت بريطانيا كاتدرائية بروتوستانتية وهي "كنيسة المسيح Christ Church" التي دشّنت سنة ١٨٤٩م، حيث تمكن البروتستنت بعد ذلك من الحصول على الاعتراف لهم بطائفة دينية رسمية في الدولة

العثمانية، الأمر الذي دعم الدور البريطاني في حماية اليهود والبروتستنت معاً[٣٥]. ويورد "شولشScholch" أحد التقارير التي أرسلها القنصل البريطاني "يونغ" إلى لندن حيث يقول فيه: "هناك فريقان سيطالبان في المستقبل بلا شك بأن يكون لهما حق قوي في إبداء الرأي في شؤون فلسطين، وأحد هذين الطرفين هم اليهود، الذين أعطاهم الله في الأصل ملكية هذه البلاد، والفريق الآخر هم المسيحيون البروتوستنت... وبريطانيا العظمى هي الحامي الطبيعي لكلا الفريقين"[٣٦]. وقد جاءت الأوامر الرسمية من الخارجية البريطانية بشكل واضح في هذه المسألة حيث وجد كتاب موجه إلى "يونغ" من الجهة نفسها قال: "سيكون من واجبك كنائب قنصل في القدس أن توفر الحماية لليهود عامة." [٣٧]

سعت بريطانيا لتوطين اليهود في فلسطين لإيجاد قوة لها للوقوف في وجه أي طامح أو مغامر لتأسيس دولة قوية أو السيطرة على بلاد الشام، والجزيرة العربية. لأن قيام مثل هذه الدولة يهدد مصالحها، والحفاظ على خطوط مواصلاتها مع الهند[٣٨]. وفي إطار وظيفة أعضاء الجماعات اليهودية ونفعهم بدأ يظهر الفكر الصهيوني في صفوف الأوساط الاستعمارية الغربية التي طرحت حلا إمبرياليا وظيفيا يتلخص في إخراج اليهود من الغرب وتوظيفهم في خدمته، وقد تم ذلك عن طريق ربط المسألة اليهودية بالمسألة الشرقية (أي وضع الإمبراطورية العثمانية المتردي، فيقوم الغرب بنقل الفائض البشري اليهودي الذي لا وظيفة له في الغرب إلى منطقة استراتيجية في آسيا وأفريقيا (هي فلسطين) تطل على البحرين الأبيض المتوسط والأحمر وتقع في قلب العالم العربي والإسلامي والدولة العثمانية، حيث يؤسس دولة استيطانية تضم هذا الفائض البشري وتقوم بوظيفة حيوية وهي الدفاع عن المصالح الغربية في المنطقة، نظير أن يقوم الغرب بالدفاع عن سكانها وضمان رفاهيتهم وبقائهم واستمرارهم[٣٩]، وحتى تكون الأمور مقنعة للمتعاطفين بعودة اليهود جاء التركيز على مقدسات اليهود في فلسطين وعلى رأسها القدس.

أرسل بالمرستون، مذكرة إلى سفيره "بونسونبيPonsonby" في استنبول عام ١٨٤٠م ورد فيها "يقوم بين اليهود الآن في أوروبا شعور قوي بأن الوقت الذي ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين يأخذ في الاقتراب ... ومن المعروف جيدا أن يهود أوروبا يمتلكون

ثروات كبيرة... ومن الواضح أن أي قطر يختار أعداداً كبيرة من اليهود سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التي سيجلبها معهم هؤلاء اليهود ... فإذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة السلطان، فسيكون في هذا حائل بين محمد علي ومن يخلفه، وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل"[٤٠]. ويبدو جلياً أن لغة المصلحة البريطانية تعلو على مفردات الخطاب، فالغاية هي الثروة اليهودية التي من خلالها يشير بالمرستون إلى دورها في تعزيز العلاقات الدولية، وهي الجزرة التي يلوح بها للقبول بفكرة "عودة اليهود" وعزز "بالمرستون« سياسته هذه بالكثير من الأوامر إلى العاملين في الدوائر السياسية البريطانية في الدولة العثمانية لمساعدة اليهود ومنها ما جاء في كتبه إلى القناصل البريطانيين بوضع اليهود عمومًا في الدولة العثمانية تحت الحماية البريطانية ومنع الإساءة إليهم"[٤١]، وطلب من السفير البريطاني في استنبول الاحتجاج لدى الباب العالي على أي عمل عدائي ضد اليهود في الولايات العثمانية"[٤٢]، وقد تمكن يونغ من توفير الحماية البريطانية لجميع اليهود الأوربيين في القدس بغض النظر عن جنسياتهم، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما قدّم شكوى إلى بالمرستونبحق القنصل البريطاني في مصر بأنه لم يقدم له الدعم الكافي في هذه المسألة وفي هذا قال: "أنه قد أساء إلى النفوذ البريطاني لدى اليهود"[٤٣].

زاد اهتمام بريطانيا باليهود بزيادة مطامعها في الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية، فوجد اليهود المؤازرة النشطة والعمل البريطاني الدؤوب، في تثبيت أقدامهم في فلسطين، خاصة في القدس، حيث تلقوا الدعم من الكثير من الشخصيات البريطانية، ويصّور "شولش" هذا بالقول: "أما رجال الإكليروس، والساسة، وموظفو المستعمرات، والضباط، في الأربعينيات، فقد أيدوا أولئك في التوجه إلى الهدف مباشرة، فقد طالب هؤلاء بإقامة مستعمرات يهودية بهذا الشكل أو ذاك، أو حتى دولة يهودية تحت الحماية البريطانية، بهدف إعادة اليهود، وحماية المصالح الاستراتيجية والتجارية البريطانية في هذه المنطقة"[٤٤]. ويبرز على السطح التعاطف المبني على أوهام لا تمت للواقع بصلة، أوجدها الساسة الإنجليز للوصول إلى مآربهم وهذا ما يلحظ في مذكرات "فن" حينما قال: "ذاق هؤلاء اليهود في العصور الغابرة الأمرين، نتيجة للسلوك الاستبدادي العام للمسلمين"[٤٥].

تولى أمور القنصلية البريطانية في القدس بعد "يونغ" المستر "جيمس فن" وقد أصبحت مهمة حماية اليهود من المهام الأولى في أعماله، فكان عليه أن يأخذ جميع اليهود سواء كانوا من الرعايا البريطانيين أم لا، تحت جناح حمايته[٤٦]. وهو الذي يقول إنه لم يكن يخشى أو يخجل من النعت الذي كان يوصف به دائمًا "كرجل نصف يهودي"[٤٧]، وقد شرع هذا سنة ١٨٤٩م بمنح اليهود الروس والنمساويين ممن نزعت منهم جنسياتهم، الحماية البريطانية، حيث نظمت القنصلية البريطانية في القدس سجلات خاصة، منحت فيها شهادات الحماية من غير مقابل لليهود الذين لا يستطيعون دفع الرسوم[٤٨]، وقد أورد "فن" خطابًا موجهًا إلى القنصلية البريطانية من اليهود الروس يشكرون فيه الملكة البريطانية لرعايتهم وحمايتهم، ومما جاء فيه: "نحمد الله ونثني عليه لأنه زرع الرحمة والرأفة في قلب صاحبة الجلالة الملكة المتوجة، والتي تحكم أقاليم إنجلترا ومستعمراتها، وألهمها فعل الخير لبني إسرائيل"[٤٩]، وهو الأمر الذي يؤكده فن في مذكراته: "أما الأشخاص الذين كان القنصل البريطاني في بيت المقدس موكلًا رسميًا بحمايتهم فقد كانوا كافة الرعايا البريطانيين بالولادة... ومن ثم اليهود الروس الذين انتقلت مسؤولية رعاية مصالحهم للسيادة البريطانية... وكافة اليهود الذين يمكن أن يتعرضوا للمحن أو الكروب وبالتصرف بالنيابة عنهم"[٥٠]. كما يحق للقنصل البريطاني أن يتولى الدفاع عن اليهود الذين تتخلى القنصليات الأوروبية في القدس عن حمايته[٥١]، وهو الأمر الذي دفع روسيا لاقتراح وضع رعاياها في القدس تحت حماية بريطانيا لتصبح إقامتهم مفتوحة في القدس[٥٢]. فأمنت القنصلية البريطانية في القدس الحماية لليهود وأخذت الرسوم منهم وأعفت الذين لا يستطيعون الدفع[٥٣]، وهذا دفع "فن" أن يرسل تحياته وتأملاته للمستر آرثر Arthur" المسؤول في وزارة الخارجية البريطانية مسروراً بما توصل إليه حينما قال: "يحصل لي الشرف أن أكتب لك قائمة بأسماء اليهود الروس الذين سجلواأسماءهم في القنصلية البريطانية لحمايتهم إلى الأبد، وأذكر لك أنني بعثت بقائمة مماثلة إلىالسلطات العثمانية في القدس[٥٤]، ونتيجة لهذه الإجراءات استقر الكثير من اليهود في القدس وقدم الروس الشكر والعرفان للبريطانيين حتى إنهم كانوا يشاركونهم احتفالاتهم بأعيادهم[٥٥]، وقد وصف فن حال اليهود بعد تلك الإجراءات بالقول: "كان اليهود عمومًا سعداء لوجود قنصلية يمكنهم اللجوء إليها لتصديق وختم وثائقهم

ومستنداتهم والالتماسات التي كانوا يرسلونها لأربع أركان الأرض[٥٦]. بل وكانت إدارة الأعمال في القنصلية الإنجليزية تدار باللغة العبرية[٥٧]، ولكن وبكل هذه الإمكانات التي أوجدها وسخرها "بالمرستونPalmerston" لدعم اليهود، إلا أنه فشل في إقناع السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١م) بالسماح لليهود بالاستيطان غير المحدود في فلسطين أو منحهم امتيازات خاصة فيها[٥٨]، ولم يقتصر الدعم البريطاني لليهود على الدوائر الاستعمارية الرسمية بل تعداه إلى طبقات المجتمع التي كان يجمعها مع اليهود المصالح المتنوعة، كما سيتضح لاحقاً.

الدور البريطاني غير الرسمي:

تأسست جمعية القدس الأدبية سنة ١٨٤٩م برئاسة القنصل البريطاني في القدس "فنFinn" المذكور آنفا. للبحث والتحري عن الآثار والأراضي المقدسة بحدودها التوراتية، واقتصرت عضويتها على البروتستانت[٥٩]، ثم تحولت في عام ١٨٦٥م إلى "صندوق استكشاف فلسطينPalestine Exploration Fund" في عهد القنصل الثالث للقدس"نيفين تمبل مورNevin Temple More ١٨٦٢-١٨٩٠)"[٦٠]،خليفة السير فن وقد دعّم هذا القنصل نشاط الصندوق في مجال مسح الأراضي بزعم التنقيب عن الآثار حيث حصل في عام ١٨٦٩م عل فرمان بوساطة السفارة البريطانية في استنبول للتنقيب عن هيكل سليمان في منطقة الحرم الشريف بعد التعهد بعدم إلحاق أضرار بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة من جراء الحفريات[٦١]، وقد قام هذا الصندوق بدور مهم في تزويد الساسة، والعسكريين البريطانيين بالمعلومات الجغرافية، والتاريخية والسياسية، التي كانوا يحتاجونها، كما كان للعاملين فيه دور كبير في توجيه أنظار اليهود إلى فلسطين[٦٢].

لم تتوقف فكرة "عودة اليهودRestoration" على الساسة ورجال الدولة البريطانيين، بل تعدتهم إلى رجال المال والصناعة، ورؤساء الأندية والجمعيات، الذين آزروا "بالمرستون" وغيره من صانعي القرارات البريطانية في العمل على إيجاد وطن لليهود في فلسطين، ففي سنة ١٨٤٥ وصلت مذكرة من أحد السياسيين البريطانيين من أنصار بالمرستون، للحكومة البريطانية لإعادة توطين اليهود، وإقامة دولة خاصة بهم تحت الحماية البريطانية، للسيطرة على طرق التجارة في الشرق[٦٣]، وهذه الأفكار كانت بحاجة إلى

دعمها على أرض الواقع من خلال إيجاد الأماكن الدينية الخاصة باليهود، وهو الأمر الذي تحقق بالفعل حينما تمكن السفير البريطاني من أخذ موافقة السلطات العثمانية على تشييد كنيسين للطوائف اليهودية في القدس(٦٤)، كما تقدّم أحد الصهاينة من غير اليهود وهو الكولونيل "جورج جولر George Gawler" الذي عمل مدة حاكماً لجنوب استراليا، تقدم باقتراح إلى الحكومة البريطانية بإنشاء مستوطنات يهودية في فلسطين. وكان مما قاله هذا في إحدى المناسبات: "لقد وضعت العناية الإلهية سوريا ومصر بين بريطانيا وبين أعظم مناطق إمبراطورياتها ... أن استيلاء أي دولة على مصر وسوريا يهدد تجارة بريطانيا... وقد آن الأوان كي تقوم بريطانيا بتنمية سوريا وإحيائها بواسطة أبناء الأرض الحقيقيين، أبناء إسرائيل(٦٥)" كما دعا في ما بعد، رجل الصناعة البريطاني "إدوارد كازاليت Edward Cazalet(*)" بإقامة محمية بريطانية في فلسطين، يكون هدفها إعادة اليهود، وربط البلاد بصورة دائمة ببريطانيا(٦٦). كما اقترح شخص آخر نشيط في صندوق اكتشاف فلسطين. وهو "شارلز وارن Charles Warren" في كتابه "أرض الميعاد The Land Of Promise" بأن تسلم الأرض المقدسة نظراً لإفلاس الدولة العثمانية، لمدة عشرين سنة إلى شركة الهند الشرقية لتسدد الدولة العثمانية التزاماتها ... وستكون مهمة هذه الشركة توطين اليهود في البلاد بصورة تدريجية بحيث تؤول البلاد آخر الأمر إلى ملكيتهم وتصبح تحت حكمهم(٦٧)، كما وجد شخصية فاعلة في توجيه السياسة البريطانية لخلق دولة وظيفية في الشرق هو سير "لورانس أوليفانت(*) Laurence Oliphant1829-1888" عضو في البرلمان البريطاني وصديق لورد شافتسبري، المذكور آنفاً، الذي كان يرى ضرورة إنقاذ الدولة العثمانية من مشاكلها المستعصية لتظل حاجزا صلبا ضد الزحف الروسي عن طريق إدخال عنصر اقتصادي نشط في جسدها المتهاوي، وقد وجد أن اليهود هم هذا العنصر. ولذلك دعا بريطانيا إلى تأييد مشروع توطين اليهود، لا في القدس وفلسطين فحسب، وإنما في الضفة الشرقية للأردن كذلك(٦٨). وبغض النظر عن الأسباب التي دعت أولئك إلى الإلحاح على مساعدة اليهود، إلا أنهم، اجتمعوا على الفكرة نفسها؛ الداعية إلى تهجير اليهود إلى فلسطين وخلق وطن قومي لليهود فيها.

بداية الهجرات اليهودية المنظمة إلى القدس:

تمكن اليهودي البريطاني "موسى

مونتفيوري" من شراء قطعة أرض في القدس سنة ١٨٥٩م، بمحاذاة الطريق السريع الموصل من القدس إلى بيت لحم، وكانت قريبة من أسوار المدينة، بموجب فرمان من السلطان العثماني لبناء مستشفى، ولكنه أقام عليها مساكن شعبية لليهود بعد تدخل السفير البريطاني في استنبول لدى السلطات العثمانية، ويعلق "فن" على هذه الحادثة بالقول: "أن بيع هذه الأرض إلى مشتر أجنبي غير مسلم، يكون بيت المقدس شهد حدثًا استثنائيًا...وكان ذلك بمثابة خطوة أخرى في طريق التطورات التي كانت تشهدها البلاد"[٦٩]، وتعتبر هذه الأرض الأولى التي يملكها اليهود في القدس[٧٠]، وقد سمي هذا الحي فيما بعد باسم "حي مونتفيوري"[٧١]، وقد كانت هذه الحادثة، فاعلة في إرساء دعائم الاستيطان اليهودي في القدس، بحيث لم تمض مدة قصيرة من الزمن، حتى تم إنشاء العديد من الأحياء اليهودية في المدينة وبلغت ثمانية أحياء عام ١٨٩٢م[٧٢]. وقد تمكن (مونتفيوري) من إنشاء مدارس دينية يهودية في القدس[٧٣]. وكان يؤمن بأن الاستفادة الحقيقية تتمثل في توفير التعليم لجميع اليهود، وخلق فرص عمل للألوف من الأشخاص العاطلين عن العمل...عوضاً عن أي شكل آخر من أشكال المساعدة[٧٤].

نتيجة للجهود البريطانية بوجهيها الرسمي والشعبي، ازداد عدد الهجرات اليهودية إلى القدس وضواحيها، حيث تضاعفت أعدادهم خلال المدة (١٨٤٠-١٨٨٠م) من عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) إلى خمسة وعشرين ألف (٢٥,٠٠٠) يهودي[٧٥]. ويقول "فن" بأن عدد اليهود إبان فترة حكمه للقدس (١٨٥٣-١٨٥٦) بلغ عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) ويضيف ما يؤكد فكرة البحث حينما يقول" يشكل اليهود المعاصرون والمقيمون في أرضهم القديمة" مادة خصبة للتأمل والتمعن"[٧٦]، وورد عند "بن أريه Bin Arieh": أن عدد اليهود وصل إلى سبعة عشر ألفًا (١٧,٠٠٠)، سنة ١٨٨٠م[٧٧]. ووفقاً للإحصاءات العثمانية، مع الأخذ بعدم دقتها، خاصة فيما يتعلق بأعداد اليهود، فقد بلغت أعدادهم ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانين (٣,٧٨٠) يهودياً[٧٨].

اتخذت الهجرة اليهودية طابعاً جديًا، نتيجة للطرد الذي تعرض له اليهود في كثير من بلدان العالم. وعلى أثر اغتيال قيصر روسيا في آذار ١٨٨١م، قامت السلطات الروسية بطرد اليهود لضلوع منظمة "أحباء

صهيون Chovevei Zion"[٧٩] باغتيال القيصر[٨٠]، ويعتبر هذا التاريخ، نقطة تحول في أهداف اليهود للهجرة إلى القدس، فبعد أن كانت الأسباب دينية، وهي "إنهاء أيامهم في المدينة"[٨١] تحولت إلى أسباب سياسية في البحث عن وطن في فلسطين.

وجد اليهود في أثريائهم، خير نصير لهم في تنظيم هجراتهم إلى فلسطين وعلى وجه الخصوص القدس، فقد أسهم البارون "أدموند دي روتشل Edmond de Rothschild"[*] بدور فاعل في تنظيم أول هجرة جماعية يهودية إلى فلسطين سنة ١٨٨٢م[٨٢]، ثم وفدت بعد ذلك مئات من العائلات اليهودية اليمنية، ومن العراق، والمغرب، وبخارى إلى القدس بين سنتي ١٨٨١م و١٨٩٠م[٨٣]، حيث ارتفع عدد اليهود في القدس حتى أصبح ثمانية وعشرين ألفًا (٢٨,٠٠٠) نسمة سنة ١٨٩٥م، فشكلوا بذلك ما نسبته ٦٠٪ من مجموع اليهود في فلسطين[٨٤].

عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة "بازلBasle" بسويسرا عام ١٨٩٧م وهو المؤتمر الذي شكل نقطة تحول في تاريخ الصهيونية في شتى المجالات، وتُوج بتأسيس الحركة الصهيونية التي تعد أول منظمة سياسية عالمية ذات بعد قومي لليهود في العصر الحديث والمعاصر[٨٥]، وقد حضره مائتان وأربعة (٢٠٤) مندوب من مختلف الهيئات والمنظمات والتجمعات الصهيونية في العالم، وتم انتخاب الدكتور "ثيودور هيرتزلTheodor Herzel"[٨٦] رئيساً للمؤتمر، وقد خرج هذا المؤتمر بفكرة إقامة دولة اليهود في فلسطين، كما قرر المؤتمرون إقامة الاتحاد الفيدرالي الصهيوني ليكسب الدعم العالمي لمفهوم دولة اليهود في فلسطين[٨٧]، وقد علق "هرتزل" في نهاية المؤتمر بالآتي: "في بازل أقمت الدولة اليهودية، وإذا ما قلت هذا اليوم القول علناً فسأواجه بسخرية من العالم، ولكن ربما بعد خمس سنوات، وبالتأكيد بعد خمسين سنة سيرى الدولة كل إنسان وسيعترف بها الجميع"[٨٨]. والغريب أنه لو أضفنا عدد السنين التي حددها هرتزل لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين لجاءت مطابقة لقرار التقسيم عام ١٩٤٧م الذي وافقت فيه الأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب، كما أنه يسبق حرب عام ١٩٤٨م بسنة واحدة فقط.

تنامت الهجرة الصهيونية بعد مؤتمر بال ١٨٩٧م إلى فلسطين والقدس بوجه خاص بشكل كبير. حيث يرد أن أعداد اليهود قفزت إلى أربعين ألف (٤٠,٠٠٠) نسمة

سنة ١٩٠٤ وكان ما يقارب العشرة آلاف (١٠,٠٠٠) نسمة منهم مسجلون في القنصليات الأجنبية، وما يقارب الخمسة عشر ألف (١٥,٠٠٠) نسمة في سجلات الدولة العثمانية وخمسة عشر ألف (١٥,٠٠٠) بلا جنسية[٨٩].

شهدت القدس في أعقاب فشل الثورة الروسية عام١٩٠٥م موجة جديدة من الهجرة اليهودية بسبب الاضطهاد الذي ألم باليهود. فقد وصلت أعداد اليهود في القدس إلى خمسة وأربعين ألف (٤٥,٠٠٠) نسمة عام ١٩١٠[٩٠]. وإلى ثمانية وأربعين ألف (٤٨,٠٠٠) نسمة عام ١٩١٢م[٩١]. ولكن هذا العدد عاد وانخفض إلى ما يقارب النصف مع بداية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٧م) بسبب هجرة الكثير من اليهود إلى مصر[٩٢].

الضغط البريطاني على الدولة العثمانية لقبول الهجرة:

تباين موقف الدولة العثمانية تجاه مصير الهجرة اليهودية من حين لآخر، فبعد إعلان الدولة العثمانية قانون تملك الأجانب سنة ١٨٦٨م، وتوقيع السفراء الأجانب على ما جاء فيه من شروط بغية السماح لرعاياها بالتملك داخل حدود الدولة العثمانية، باستثناء الحجاز، أفاد اليهود من حملة الجنسيات الأجنبية من هذا الترخيص، فأخذوا بشراء الأراضي في القدس[٩٣]، وقد سمح لهم هذا القانون بالتملك دون الرجوع إلى استنبول[٩٤]، ومن أمثلة هذا الشراء ما ورد في حجة البيع المدونة في سجلات القدس والذي يشير إلى القانون ذاته الذي سمح للأجانب بالتملك وقد جاء كالآتي:"بعد صدور المضبطة من مجلس إدارة متصرفية القدس بناء على الرخصة الصادرة بحق التمليك لرعايا الدولة حسب التنظيمات المؤسسة هذه، اشترى الخواجة بنسيون ليونة السكناجي تبعة إنجلترا من بائعه السيد ... بشهادة مختار محلة الشرف...جميع الحصص الشائعة وقدرها أربعة قراريط، وسبعة أثمان القيراط من أصل ٢٤ قريطًا من جميع الدار القائمة البناء بمحلة الشرف[٩٥]. وكان القنصل البريطاني خاصة؛ يتابع عملية البيع والشراء[٩٦]، وقد استهدف اليهود شراء كل ما يعرض للبيع من الأراضي والعقارات المشتملة على المنازل والمعاصر والحواصل والطواحين والحواكير والكروم والمزارع[٩٧]، وقد توسع اليهود بشراء الأراضي المحاذية

لسور المسجد الأقصى الغربي، وتوسعوا في حارات أخرى بشكل أكثر مثل حارة باب العمود[٩٨]، ولم يتركّز شراء اليهود للأراضي على المناطق الداخلية للقدس بل تعداها إلى خارج السور لا سيما غرب المدينة جهة باب الخليل[٩٩]، كما انتشر في هذه الفترة البيع الوفائي[١٠٠]، بحيث استفاد اليهود من تردي الأوضاع الاقتصادية للسكان، وغالبًا ما كان صاحب العقار يبيعه جله أو بعض منه للوفاء بدينه[١٠١].

ظلت العلاقة التي تجمع بين العثمانيين والبريطانيين بخصوص هجرة اليهود إلى فلسطين وبالأخص القدس، يشوبها الشك والريبة فاستصدر متصرف القدس أمراً يمنع القنصل البريطاني من التدخل في أية أنشطة سياسية في المدينة، إلا أنهم كانوا يتحايلون على هذه الأوامر من خلال عملائهم في التعليم، والمراكز الدينية وغيرها[١٠٢]، وقد قابل متصرفو القدس عدم تعاون القناصل البريطانيين معهم فيما يتعلق بمنع هجرة اليهود إلى المتصرفية بضيق شديد، وشكا بعضهم من استغلال بيوت الرعايا البريطانيين لإقامة جمعيات مسيحية لم ترخص لها السلطات بمزاولة نشاطها ولكن القنصل البريطاني أصر على انتظار تعليمات السفارة في استنبول قبل إبداء الرأي[١٠٣]، واتخذت الحكومة العثمانية بعض الإجراءات للحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين في مدة حكم السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م)، فقد لفت عدد المهاجرين الكبير انتباه متصرف القدس"رؤوف باشا (١٨٧٦-١٨٨٨م)"، فأرسل إلى استنبول يستوضح عن الإجراءات التي يتخذها في شأن هذه المسألة[١٠٤]، فأصدر الباب العالي قانوناً يحرّم الهجرة اليهودية إلى فلسطين وشراءهم الأراضي سنة ١٨٨٢م[١٠٥]، وقد لفتت جريدة البشير نظر السلطات العثمانية إلى الرغبة اليهودية في الاستيطان في فلسطين عامة، وقد جاء فيها: "أن سبعة آلاف من اليهود أخبروا لجنة المهاجرين الإسرائيليين في يافا عن رغبتهم في ترك روسيا والتوطن في فلسطين"[١٠٦]، وحاولت جريدة المؤيد أن تنبه إلى خطر الهجرة اليهودية إلى القدس تحديدًا وقالت: "جذبت اليهود معتقداتهم الدينية، فعزم الكثير على المهاجرة إلى أنحاء القدس، وتوطن كثير منهم في كل الجهات"[١٠٧]، وقد أنكرت جريدة المقتطف على بقية الصحف عدم اهتمامها بمثل هذا الأمر، حينما ردت على سؤال لأحد القراء العرب المقيمين في ألمانيا والذي تساءل عن دور الصحف العربية في التنبيه لخطر هجرة اليهود إلى فلسطين[١٠٨]. ولكن وبسبب

الضغط المتوالي على السلطات العثمانية في مسألة هجرة اليهود إلى القدس خاصة من بريطانيا، تساهلت الحكومة العثمانية بأن سمحت لليهود بزيارة القدس مدة ثلاثين يوماً، فاحتجت الدول الأجنبية على هذه القيود لتعارضها مع الامتيازات الأجنبية[١٠٩]، فاتخذ الباب العالي قراراً رسمياً سنة ١٨٨٧م حددت بموجبه إقامة اليهود في فلسطين بثلاثة أشهر، شريطة أن يتم حجز جواز سفر المهاجرين الوافدين بحجة زيارة الأماكن الدينية المقدسة ومنحهم ورقة حمراء أعدت لهذا الغرض[١١٠]، وقد دفع الطلب الذي تقدَم به أحبار القدس عام ١٩٠١م بالسماح لهم بتأليف نواة للجيش اليهودي، مقابل دفع مليون ليرة ذهبًا عثمانيًا كدفعة أولى لهذا الجيش، بالسلطان عبدالحميد الثاني لإصدار أوامره للوالي لموافاته بتقرير عن النشاط اليهودي في فلسطين، فهاله ما قرأه، فقرر إيقاف الهجرة اليهودية، وأصدر قانون الجواز الأحمر مرة أخرى[١١١]. وبالرغم من هذه الإجراءات المتعلقة بتقييد هجرة اليهود إلى القدس، فقد استمر وصول اليهود إليها، ووقفت القنصلية البريطانية إلى جانب المهاجرين اليهود في تحدي قرارات تقييد الهجرة[١١٢]، وقد قدم أهالي القدس احتجاجاً إلى الصدر الأعظم، حمل توقيع خمسمائة شخص من سكان القدس الذين احتجوا ضد الهجرة اليهودية وحيازة الأراضي[١١٣]، وتكررت المحاولة مرة أخرى سنة ١٨٩١م حيث أرسل فريق من وجهاء القدس عريضة إلى الباب العالي، يطلبون فيها وقف هجرة اليهود، ومنعهم من امتلاك الأراضي، والسبب هو أن اليهود كانوا يستولون على الأرض من أيدي السكان، ثم يسيطرون تدريجياً على التجارة المحلية[١١٤].

تراجعت الدولة العثمانية أمام ضغط بريطانيا وفرنسا، فاضطرت إلى التصريح سنة ١٨٨٨م بأن القيود الجديدة لن تطبق إلا بحق المهاجرين بأعداد كبيرة وليس بحق الذين يأتون فرادى، وتشجعت القنصلية البريطانية لهذا التصريح فمنحت عام ١٨٩٣م حمايتها لأكثر من مائتي (٢٠٠) عائلة يهودية[١١٥]، وحاولت السلطات العثمانية الحد من نشاط الإرساليات الأجنبية في القدس، وعلى رأسها بريطانيا، فألزمتها بتعهد يمنع تحويل بيوت الأجانب إلى معابد أو مدارس أو مستشفيات[١١٦].

سعت الحكومة العثمانية لدى البريطانيين في أواخر عام ١٨٩٨م لتعديل بعض المواد من معاهدات الامتيازات

البريطانية التي عقدتها معها في السابق، وتتعلق تلك المواد بالتسهيلات الممنوحة للرعايا البريطانيين في الإقامة والسفر إلى الممتلكات العثمانية، إلا أن الخارجية البريطانية رفضت وضع القيود على سفر رعاياها إلى فلسطين أو غيرها من الولايات العثمانية[١١٧]. وفي خضم حركة التغلغل الأجنبي والنشاط الاستيطاني والحظر الذي فرضته استنبول على الهجرة، وبيع الأراضي، كان يقع على عاتق الحركة الصهيونية بذل الأموال الطائلة لإغراء البائعين والسماسرة، والتأثير على ذوي الضمائر الفاسدة من موظفي الجهاز الإداري لتسهيل مهمة تسجيلها في الدوائر الرسمية، مما دفع الباب العالي إلى إصدار أوامره سنة ١٨٩٨م القاضية بعدم "جواز بيع الأراضي الأميرية الواقعة في ضواحي القدس الشريف لأجنبي أو لوطني"[١١٨].

نتائج مؤتمر (بازل ١٨٩٧) على الوجود اليهودي في القدس:

نشطت الحركة الصهيونية بعد عقد مؤتمر "بازل" بالتوسط لدى الحكم العثماني للحصول، بالشكل الرسمي، على موطئ قدم في فلسطين بحيث سعى "هرتزلHerzel" إلى مقابلة السلطان عبدالحميد الثاني منذ سنة ١٨٩٦م فتمت موافقة السلطان في أيار١٩٠١م بعد أن رفض ذلك لأكثر من مرة[١١٩].

قدم هرتزل في هذا اللقاء عرضاً جاء فيه: "ستتولى الحركة الصهيونية مهمة ترتيب دعم أثرياء اليهود الاقتصادي لتطوير الإمبراطورية الهرمة مقابل اعتراف السلطان بحق اليهود في إقامة دولتهم"[١٢٠]. وقد قدّر هرتزل ثمن فلسطين بأربعة ملايين جنيه، ولكن السلطان عبدالحميد رفض هذا العرض[١٢١]، وقد علق السلطان عبدالحميد على هذه المقابلة بقوله: "... إن اليهود إذا استوطنوا أرضًا تملكوا قدراتها خلال وقت قصير، وبذا نكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم، لن يستطيع رئيس الصهاينة هرتزل أن يقنعني بأفكاره"[١٢٢]، وقد كرر هرتزل محاولاته تلك، إلا أن السلطان رفض بشدة حيث، يرد أن السلطان بعث إلى هرتزل بواسطة صديقه "نيولنسكيNevlenski"

نختصرها بالآتي: "... لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً أي جزء منها، ليحتفظ اليهود ببلاييهم، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين، من غير مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثتنا، ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان"[١٢٣]، تحولت أنظار

هيرتزل إلى وساطة فلسطينية ووقع اختياره على النائب السابق في البرلمان العثماني يوسف الخالدي، وقد كان صاحب نفوذ لدى الباب العالي. فكتب له هيرتزل رسالة شرح فيها أن الحركة الصهيونية ليست استعمارية، ولا مغزى سياسي لها، وهي ترمي إلى انعاش البلاد المقدسة، ومشاركة أهلها العرب، ويطلب منه التوسط لدى الباب العالي، وإلا فاليهود سيتحولون إلى نقطة أخرى من العالم، فتخسر الدولة العثمانية وفلسطين الملايين التي بالإمكان أن تصرف على تعميرها وانعاشها، إلا أن الوساطة فشلت(١٢٤).

لجأ هرتزل في أعقاب فشله لدى السلطان العثماني إلى التركيز على بريطانيا، وقد بدأ يتضح له أكثر فأكثر أنها هي الدولة الوحيدة التي كانت تمتلك الإرادة، والقدرة على تنفيذ مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين(١٢٥)، خاصة وأن القنصلية البريطانية على اطلاع وثيق، بما يدور في البلاد من أحداث وتطورات ... وبشكل يفوق اطلاع الحكومة العثمانية نفسها(١٢٦). فالتقى مع "جوزيف تشمبرلن Joseph Chambaerlin" وزير المستعمرات، حيث كان الأخير يعتقد "بأن إنشاء كيان سياسي يهودي في منطقة خاضعة للنفوذ البريطاني، يضمن لبلاده وجود قوة موالية لها تعمل على تثبيت نفوذها ودعمه، لا سيما أن معظم المؤسسات المالية اليهودية كانت تتخذ من العاصمة البريطانية مقراً لها(١٢٧)". وكان هرتزل يرى أنه إذا وافقت بريطانيا على مشروعه الصهيوني فإنها ستحصل، "في ضربة واحدة"، على عشرة ملايين عميل سري في جميع أنحاء العالم يتسمون بالإخلاص والنشاط، وبإشارة واحدة سيضع كل واحد منهم نفسه في خدمة الدولة التي تقدم لهم العون، "إن بريطانيا ستحصل على عشرة ملايين عميل يضعون أنفسهم في خدمة جلالتها ونفوذها(١٢٨)".

تكررت المحاولات الصهيونية بتوسيط البريطانيين لدى السلطان عبدالحميد، للحصول على مبتغاهم، إلا أن جميع محاولاتهم باءت بالفشل، إلى أن جاءت جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم، بعد ثورتها على السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٨م حيث قدم هؤلاء التسهيلات للهجرة، والاستيطان وشراء الأراضي، بعد حصولهم على المال من اليهود لتدعيم الخزينة العثمانية بعد حروبها في البلقان(١٢٩)، وألغت حكومة الاتحاد والترقي جميع القيود على الهجرة وامتلاك الأراضي(١٣٠)، ويذكر أن أحد

اليهود كان يتفاخر بما توصلوا إليه مع الاتحاد والترقي بما يلي: "إن الاتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف جنيه بريطاني، ما لم ينفذه عبدالحميد بملايين الجنيهات"[١٣١].

بريطانيا وتحقيق الهدف:

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م إلى جانب دولتي الوسط (ألمانيا وإيطاليا) ضد دول الحلفاء (بريطانيا، وفرنسا، وروسيا) في تشرين الثاني ١٩١٤م. وأعلنت الدولة العثمانية النفير العام، وألغت الامتيازات الأجنبية، ثم أعلنت الجهاد[١٣٢]، وردّت بريطانيا على هذا الإعلان، بإصدار منشور وجهته إلى العرب، أكدت فيه أنها لا تنوي امتلاك أي جزء من البلاد العربية[١٣٣].

أوكلت الحكومة البريطانية للسير "هنري مكماهون Sir Henry Macmahon" المعتمد السامي البريطاني في مصر، مهمة التفاوض مع "الشريف حسين" بغية التوصل معه إلى اتفاق مكتوب حول الدعوة من قبل الشريف إلى الثورة العربية على العثمانيين، وبالمقابل تتعهد بريطانيا بالاعتراف بقيام دولة عربية مستقلة، وقد كانت فلسطين ومنها القدس من البلاد العربية التي وعدت بريطانيا الاعتراف باستقلالها[١٣٤]، وفي الوقت نفسه، كانت بريطانيا وحليفتها فرنسا، وروسيا يوقعون بالأحرف الأولى على معاهدة سايكس بيكو Sykes-Picot التي قضت بنودها بتقسيم أملاك الدولة العثمانية فيما بينها[١٣٥]، وقد تم الاتفاق فيما بين الحلفاء على الاحتفاظ بالقدس وما حولها كمنطقة دولية منعاً للتنافس الاستعماري عليها[١٣٦].

وقفت الحركة الصهيونية في بداية الحرب موقف الحياد، ولكن عندما لمست بأن الكفّة رجحت لمصلحة الحلفاء، مالوا بثقلهم إلى بريطانيا، وقد ظهر حاييم وايزمان Weizmann Chaim[١٣٧] في لندن ليقوم بدور زعيم الأمر الواقع في الحركة الصهيونية، ويجد في الحكومة البريطانية خير حليف لمطامع الحركة[١٣٨]، فازداد نفوذ الصهاينة وتغلغلهم في أعماق دوائر القرار البريطاني وتوثقت علاقة وايزمان بكل من رئيس الوزراء البريطاني "لويد جورج Lloyd George"، ووزير الخارجية "آرثر جيمس بلفور Arthur James Balfour"[١٣٩] حتى صوّر وايزمان هذه العلاقة بهذه الجملة. "لم يخطر على بال بعضهم أن رجالاً من أمثال بلفور وتشرشل Churchill ولويد جورج

كانوا متدينين في أعماق قلوبهم ومؤمنين بالتوراة وبأن عودة اليهود إلى فلسطين مسألة واقعية وحقيقية[١٤٠].

سارع وايزمان للاجتماع بالمستر بلفور وغيره من المسؤولين البريطانيين الذين أعربوا عن استعدادهم لتأييد المطالب الصهيونية، وأخذها بعين الاعتبار متى تحققت أهداف الحرب الرامية إلى تجزئة الامبراطورية العثمانية وتقسيمها[١٤١].

كان من رأي وزارة الحرب البريطانية، أن لفلسطين ومصر أهمية متوازية من الوجهة الاستراتيجية، وقد كتب أحد أنصار الصهيونية ووزير المستعمرات البريطانية في وقت لاحق "ليوبولد تشارلز Leopold Charles" مذكرة لها مغزاها بالقول: "إن مصر وفلسطين تسيران جنباً إلى جنب من الوجهة الاستراتيجية"[١٤٢]. وقد خلص رؤساء الأركان في وزارة الحرب إلى النتائج التالية: "إن إقامة دولة يهودية حاجزة في فلسطين على الرغم من أنها ستكون ضعيفة في ذاتها، هي من الناحية الاستراتيجية أمر مرغوب فيه بالنسبة لبريطانيا العظمى"[١٤٣].

عمل وايزمان ومعاونوه لكسب المسؤولين البريطانيين بينما كان "لويس براندیز Louis Brandis" زعيم الصهاينة في الولايات المتحدة الأميركية يقوم بدور مماثل هناك[١٤٤]، وقد قام تعاون وثيق الصلة بين الفريقين بغية حمل الأميركان على دخول الحرب إلى جانب الحلفاء، وإبقاء يهود العالم إلى جانب الدول الحليفة، فجاء صدور تصريح بلفور في الثاني من تشرين الثاني١٩١٧م[١٤٥] بمثابة حصيلة تلك الجهود وثمرة التحالف الصهيوني البريطاني في أثناء الحرب، فكان أول اعتراف رسمي من دولة عظمى بالحركة الصهيونية، وأول تأييد رسمي لأطماعها في فلسطين[١٤٦].

أورد وايزمان أسباب الاندفاع البريطاني للمساعدة المفرطة للحركة الصهيونية بالقول: "بأنه من الجلي أن علاقة بريطانيا بفلسطين كانت ترتكز على فكرة الوطن القومي اليهودي فيها، ولولا هذه الفكرة لما حدّثت بريطانيا نفسها بقبول الحماية أو الانتداب فيما بعد على فلسطين. وبالاختصار فإن بريطانيا كانت تشعر بأنه ليس لها مصلحة في فلسطين، اللهم إلا فكرة المساعدة على إنشاء الوطن القومي اليهودي فيها"[١٤٧]، وقد عبر "ماكس نوردو Max Nordau 1849-1923" أحد زعامات الحركة الصهيونية عن تفهمه العميق للدوافع التي حركت رجال السياسة

البريطانية الذين كانت تواجههم مشكلة التوازنات الدولية، وهي أن هؤلاء الساسة نظروا إلى أن اليهود يعتبرون في الحقيقة "مصدر قوة" وربما "مصدر نفع" أيضا لبريطانيا وحلفائها، وبالتالي وفروا لهم فلسطين(١٤٨)، وقد توج العمل البريطاني الصهيوني الدؤوب بإصدار وعد بلفور ٢ تشرين الثاني ١٩١٧م الذي مثل اعترافا رسميا بريطانيا بالهدف الصهيوني الخاص بتحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود والتزاما بريطانيا رسميا بالتعاون مع المنظمة الصهيونية العالمية لتحقيق هذا الهدف، وكان هدف بريطانيا منه استعمار فلسطين واغتصابها وإيجاد قاعدة استعمارية استيطانية فيها تفصل مشرق الوطن العربي عن مغربه, وتمكن بريطانيا من الهيمنة على المنطقة.

الخاتمة:

العلاقات السياسية لا تحتكم إلى الحب والكره، إنما تحكمها المصالح، ويبدو أن وايزمان اختصر أسباب الوجود البريطاني في فلسطين، من وجهة نظر يهودية، وهي: إنشاء الوطن القومي اليهودي فيها، وأدرك أنها هي الدولة الوحيدة التي كانت تمتلك الإرادة، والقدرة على تنفيذ مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين، وحتى يحقق هذا المشروع غايته تم ربطه بمصالح بريطانيا، أما بالنسبة لوجهة النظر البريطانية، فإن إنشاء كيان سياسي يهودي في منطقة خاضعة للنفوذ البريطاني، يضمن لبريطانيا وجود قوة موالية لها تعمل على تثبيت نفوذها ودعمه، لا سيما أن معظم المؤسسات المالية اليهودية كانت تتخذ من العاصمة البريطانية مقراً لها. وقد أثبتت الدراسة بأنه لولا هذه الفكرة لما قبلت بريطانيا الحماية أو الانتداب فيما بعد على فلسطين، وهذا ما أثبتته الوثائق التي وردت في البحث خاصة مذكرات "جيمس فن" القنصل الثاني البريطاني في القدس. لذا لا يمكن أن تكون العواطف هي التي دفعت بريطانيا للعمل على مساعدة اليهود بل يمكن العكس، فمصلحة بريطانيا نفسها أولًا، ومصالح أوروبا برمتها ثانيا، هي من دفعتها لنقل الفائض البشري اليهودي الذي لا وظيفة له في الغرب إلى منطقة استراتيجية حيوية، هي فلسطين والتي من فضائلها بالنسبة للسياسة الأوروبية، بأنها تطل على البحرين الأبيض المتوسط والأحمر، وتقع في قلب العالم العربي والإسلامي والدولة العثمانية، وبالتالي فإن تأسيس دولة استيطانية ترتبط مصالحها بمصالح أوروبا والغرب وتقوم بوظيفة حيوية وهي الدفاع عن المصالح الغربية في المنطقة، نظير أن يقوم

الغرب بالدفاع عن سكانها وضمان رفاهيتهم وبقائهم واستمرارهم، كان أمرًا واقعًا ومجديًا، وقد لوحظ الإصرار البريطاني على خلق واقع ديمغرافي جديد لمدينة القدس خاصة وأنها مثّلت العامل الجيد والمقنع لليهود الذين كانوا يرفضون فكرة "العودة".

الهوامش:

(١)صندوق استكشاف فلسطين: (Palestine Exploration Fund)وهي جمعية بريطانية مقرها لندن، أسست سنة ١٨٦٥م تحت رعاية الملكة فكتوريا ملكة انجلترا. وحسبماتعلن الجمعية، فإنها جمعية علميةتهتمبالبحثفيالآثاروالطوبوغرافياوالجغرافيةالطبيعيةوالتاريخالطبيعيلفلسطين،غيرأنها ا لعبتدوراً مهماً في مجال جمع المعلومات الاستخباراتية العسكرية التي كانت تحتاجها بريطانيا لمد نفوذها الاستعماري في المنطقة. ويكيبيديا.

(٢) المسيري، عبدالوهاب، اليهود ودولة إسرائيل في الاستراتيجية الغربية، As Maintained on web site: http: www.aljazeera.net October 2004.

(٣) المسألة الشرقية Eastern Question: مصطلح عام يطلق على العلاقات السياسية بين بعض الدول الأوروبية وبين الإمبراطورية العثمانية إبان القرنين ١٨ و١٩ وأوائل القرن العشرين. وقد بدأت بنهضة روسيا كدولة حديثة تحت حكم بطرس الأكبر وانحلال الدولة العثمانية منذ مطلع القرن ١٨. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، ١٩٨٦م، ص٣١٩.

(٤) فن، جيمس، أزمنة مثيرة: وقائع من سجلات القنصلية البريطانية في بيت المقدس (١٨٥٣-١٨٥٦م)، ترجمة: جمال أبو غيدا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٧م، ص٤١.

(5) F.O 78/3131, no 5, Jerusalem May 19th 1880, from T. Moore to Earl Granville

(٦) شولش، الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين ١٩٥٦-١٨٨٢م، دراسات حول التطورالاقتصاديوالاجتماعي والسياسي، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٣م، ص٦٠-٦١.

(*) وليم تانر يونغWilliam Tanner Young: القنصل البريطاني المعين في بيت المقدس ١٨٣٩-١٨٤٥م. ويكيبيديا.

(7)Bovis, Eugene, The Jerusalem Question 1917-1968, Hoover Institution Press Stanford, Calif, 1971, P.1.

(٨) هنري جون تيمبل(Henry John Temple) وقد اشتهر بلقب فيسكونتبالمرستون الثالث (3rd ViscountPalmerston): وهو سياسي بريطاني ١٧٨٤-١٨٦٥م. بدأ حياته كمصمم أزياءورجل فكاهي في

مقاهيلنـدنثم تمكّـن لاحقـاً مـن تـولي منصـبوزير الخارجيـةالبريطانيفي ثـلاث مناسبات، وخدم مرتينكرئيس وزراء، وكان لـه شـأن كـبير في توسـيع دائـرة بريطانيـا الدبلوماسية الخارجية. ويكيبيديا.

(٩) المسـيري، عبـدالوهاب، اليهـود ودولـة إسرائيل في الاستراتيجية الغربية،

as Maintained on web site: http: www.aljazeera.net October 2004.

(١٠) معاهـدة لنـدن: هـي معاهـدة تمـت عـام ١٨٤٠م بـين الدولـة العثمانيـة وأربـع دول أوربيـة الامبراطوريـة الروسـية وبروسـيا والمملكة المتحدة والإمبراطورية النمسـاوية للحدّ من توسعات محمد علي باشـا حـاكم مصر على حساب أراضي الدولة العثمانيـة والـتي أيضـاً كانـت سـبباً في تقلـيص صلاحياته. ويكيبيديا.

(١١) محافظة، علي، العلاقات الألمانية الفلسطينية مـن إنشـاء مطرانيـة القـدس البروتسـتنتية وحتى نهاية الحرب العالميـة الثانيـة ١٨٤٢-١٩٤٥م، المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشر، بيروت، ١٩٨١م. ص٤١، أبو عـز الدين، سليمان إبراهيم باشا في سوريا: هـو تـاريخ بـدء النهضـة الحديثـة، د.ن، د.م، ١٩٢٨م، ص٧٥.

(١٢) F.O. 195/1514, No.12 Jerusaem, 4th Dec. 1885.(وثائق وزارة الخارجيـة البريطانيـة (Foreign Office) مركـز الوثـائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية.

(13) F.O. 78/444, No.5 Jaffa, 25th January. 1841.

(*) مايكـل سـولومون الكسـاندر ١٧٩٩-١٨٤٥م: أول مطران انجليكـاني في بيـت المقدس، ركـز خـلال وجـوده في منصـبه على تنصير يهود فلسطين. ويكيبيديا.

(14) Gidney, M.A, The History of the London Society for Promoting Christianity Amongst the Jews 1809-1908, Ltd Press, London PP. 9-10.

(*) أنتـوني أشـلي كـوبر لـورد شافتسـبري Anthony Ashley-Cooper, Lord Shaftesbury ١٨٠١-١٨٨٥م: واحد مـن أهـم الشخصـيات الإنجليزيـة في القرن التاسع عشـر، ومـن أهـم المصـلحين الاجتمـاعيين. وهـو شـقيق زوجـة رئـيس الوزراء بالمرستون الذي كان يثـق فيـه تمامـاً ويأخـذ بمشـورته. وقـد كـان شافتسـبري زعيم حـزب الإنجيلـيين، لـذا فـإن اليهـود كانوا أحد الموضوعات الأساسـية في فكـره، كما كانوا محط اهتمامه الشديد. ويكيبيديا.

(١٥) المسـيري، عبـدالوهاب، اليهـود ودولـة إسرائيل في الاستراتيجية الغربية،

as Maintained on web site: http: www.aljazeera.net October 2004.

(١٦)شولش، الكزاندر، تحولات جذرية، ص٦٤.

(١٧)شولشالكزاندر، تحولات جذرية، ص٦٤، الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، ق٢، مج٦، ص٨٤١.

(١٨) سجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، رقم ٤٠٤، ١٩ تموز ١٩٠٩م، ص١٥-١٦.

(*) صمـــوئيل غـوبـــات (١٧٩٩-١٨٧٩م): سويسري لوثري اعتنق المذهب الأنغليكاني وعمل مبشـرًا في أفريقيـا ثـم تـولى منصـب مطران بيت المقدس البروتسـتانتي منـذ سـنة ١٨٤٦م وحـــتى ممـــاته عـــام ١٨٧٩م. ويكيبيديا.

(١٩) فن، **أزمنة مثيرة**، ص١٨١.

(٢٠) **المصدر نفسه**، ص١٤٤.

(٢١)شولش، الكزاندر، **تحولات جذرية**، ص٦٥.

Hyamson, Albert, The British consulate in Jerusalem in relation to the Jews of Palestine, 1838, 1914, S.N London, 19..., PP. 5-6.

(٢٢) فـن، جـيمس، أزمنـة مـثيرة، ص١٢٤-١٢٦.

(٢٣) سجل المحكمة الشـرعية في مدينـة القـدس، رقـــم ٣٢٠، ١٨ آيـــار ١٨٦٣م، ص٢١٣. رستم، أسد، العربية لتاريخ سورية في عهـد محمد علي باشـا، ج٥، الجامعـة الأمريكيـة، بيروت، ١٩٣٤م، ص٢٢٤.

(٢٤) سجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، ١٧شباط ١٨٦٥، ص١٩٩.

(٢٥) سجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، رقم، ٣٨٨، ١١ آب ١٨٨٦م، ص٥٣.

(٢٦) فن، جيمس، أزمنة مثيرة، ص١٤٤.

(27)Cohen, Amnon, Baer, Gabriel, Egypt and Palestine: a millennium of association (868-1948) Ben-Zvi Institute for the Study of Jewish Communities in the East; St. Martin's Press, Jerusalem: New York, 1984, PP. 223-224.

(٢٨) فن، جيمس، **أزمنة مثيرة**، ص١٤٤.

(*)موسى مونتفيوري (١٧٨٤-١٨٨٥): ثري بريطاني يهودي، ومن كبار المدافعين عـن حقوق اليهود في بريطانيا والعالم. ولـد في بريطانيـا لأسـرة إنجليزيـة ذات أصـول يهودية. وهو ثاني يهودي يتـولى منصـب عمدة لندن، وأول يهـودي يحصـل علـى لقب سير. وكان من أوائـل المشـاركين في تأســيس البنــوك الصــناعية. وقــد زار فلسطين سبع مرات، وقـد نجـح في إقنـاع محمد علي باشا والسلطان العثماني بمـنح امتيـازات لليهـود في فلسـطين وفي جميـع أرجاء الإمبراطورية العثمانية. ويكيبيديا.

(٢٩) العابدي، محمود، قدسنا، **المنتظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**، معهد البحـوث والدراسات، بغداد، ١٩٧٢م، ص٣٣.

(*)السكناج/ الأشكينازيم: اسم يذكر في التـوراة وكان يستخدم عند الأدباء اليهود إشـارة إلى ألمانيا، وعلى الأخص المنطقة الواقعـة علـى نهر الراين، لذلك أطلـق علـى يهـود ألمانيـا اســم اشــكنازيين، وجــرى التوســع في استعمالها لاحقًا للإشـارة إلى يهـود أوروبـا

الشرقية والوسطى والغربية، ما عدا يهود البلقان الذين كانوا يعتبرون من السفاريم. ويكيبيديا.

(٣٠) رستم، أسد، الأصول العربية، ص٦٥-٦٦. سجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، رقم ٣٢١، ٧ نيسان ١٨٣٧م، ص٩٦.

(٣١) عوض، عبد العزيز، "القدس وسياسة الدولة العثمانية ١٨٧٤-١٩١٨م"، في كتاب: ندوة يوم القدس بين الماضي والحاضر، بحوث ندوة جامعة البتراء، دار المناهج للنشر والتوزيع ٢٠٠٢م، ص١٠٥.

(32) Scholch, Jerusalem; in Asali (Editor), Jerusalem in History, Scorpion, Essex, England P.202.

(٣٣) فن، جيمس، **أزمنة مثيرة**، ص١٣٥-١٣٦ و ص١٧٦.

(٣٤) **المصدر نفسه**، ص١٩٧.

(٣٥)شولش، الكزاندر، **تحولات جذرية**، ص٦٣-٦٤.

(٣٦)**المصدر نفسه**، ص٦٥.

(37) F.o.78/353, No 2, 31 january, 1839, Bidwell to Young

(٣٨)فن، جيمس، **أزمنة مثيرة**، ص٥٠٧.

(٣٩) المسيري، عبدالوهاب، **اليهود ودولة إسرائيل في الاستراتيجية الغربية**، as Maintained on web site: http: www.aljazeera.net October 2004.

(٤٠) شولشالكزاندر، **تحولات جذرية**، ص٦٦-٦٧، F.O. 78/390, No.134 London, 11th August. 1840

(٤١) فن، جيمس، أزم**نة مثيرة**، ص١٤٤.

(42) F.O. 78/344 (Consular) Cairo 10th December 1838, from Colonel-compbell to Palmerstone. Bentwich, Norman- England in Palestine, Kegan Paul Trench, London,1932. pp.2-3.

(43) F.O. 78/367, No 31 Jerusalem 10th October 1939 from W.T Young to Palmerston.

(٤٤)شولش، الكزاندر، **تحولات جذرية**، ص٦٧.

(٤٥) فن، جيمس، **أزمنة مثيرة**، ص١٤١.

(46) Hayamson, Albert, The British Consulate, PP. 7-10.

(٤٧)فن، جيمس، **أزمنة مثيرة**، ص٥٧٣.

(٤٨) **المصدر نفسه**، ص١٥٣.

(٤٩) **المصدر نفسه**، ص١٧٢.

(٥٠) **المصدر نفسه**، ص١٣٣.

(٥١) **المصدر نفسه**، ص١٥٢.

(٥٢) عوض، عبدالعزيز، **متصرفية القدس الشريف ١٨٧٤-١٩١٤**، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦، ص٢٧٩.

(53)F.O. 78/2005, No.6, Jerusalem,2 August. 1849.

(54) Hayamson, Albert, The British Consulate, P. 35.

(٥٥) عوض، عبدالعزيز، **متصرفية القدس**، ص٢٨٠.

(٥٦) فن، جيمس، **أزمنة مثيرة**، ص١٦٢.

(٥٧) المصدر نفسه، ص١٦٨.

(٥٨) محمود، أمين، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب

العالمية الأولى، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٤م. ص٢٦، الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة ق٢، مج٦، ص٨٤٢.

(٥٩) فن، جيمس، أزمنة مثيرة، ص٤٢٨-٤٢٩.

(٦٠) للتوسع حول هذا الموضوع انظر: فن، جيمس، أزمنة مثيرة، ص٦٠٦- ٦١٦.

(٦١) الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، ق٢، مج٦، ص٨٤٢.

(٦٢)محمود، أمين، مشاريع الاستيطان، ص٣٧.

(63) Tuchman, Brbara, Bible and Sword; How the British came to Palestine, Papermac, London, 1982, p. 131.

(٦٤) فن، جيمس، **أزمنة مثيرة**، ص٥٧٤.

(٦٥) محمود، أمين، **مشاريع الاستيطان**، ص٢٥-٢٦.

(*)إدوارد كازاليت Edward Cazalet: ثري بريطاني كان يدعو إلى تحسين خط سكة الحديد العراقية لتفويت الفرصة على ألمانيا وفرنسا في النفاذ إلى هناك. وهو شريك لأوليفانت في تبني المشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين. ويكيبيديا.

(٦٦)شولش، الكزاندر، **تحولات جذرية**، ص٧٩.

(٦٧) المرجع نفسه، ص٧٩.

(*) لورانس أوليفانتLaurence Oliphant: مؤلف وسائح ودبلوماسي وصوفي مسيحي بريطاني، عمل في السلك الدبلوماسي البريطاني بعض الوقت، وكان عضوًا في البرلمان. ويكيبيديا.

(٦٨) المسيري، عبدالوهاب، اليهود ودولة إسرائيل في الاستراتيجية الغربية،

as Maintained on web site: http: //www.aljazeera.net October 2004.

(٦٩) فن، جيمس، أزمنة مثيرة، ص٨٥٣-٨٥٤.

(70) Hayamson, Albert, The British Consulate, PP. 262-265.

(٧١) محمود، أمين، مشاريع الاستيطان، ص٦١.

(٧٢) المرجع نفسه، ص٦١.

(٧٣) سجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، رقم ٣٧٩، ٢١ آيار ١٨٩٠م، ص٥٩. وسجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، رقم ٣٩٢، ٥ كانون الأول ١٨٩٩م، ص٧١.

(٧٤) فن، جيمس، أزمنة مثيرة، ص٨٤٥.

(٧٥) مصطفى، أحمد عبدالرحيم، "موقف الدولة العثمانية من الهجرة الصهيونية"، المؤتمر الدولي الثالث لبلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٤م، ص٦٧٦.

(٧٦) فن، جيمس، أزمنة مثيرة، ص١٣٩.

(77) Bin Arieh, Yehoshua, Jerusalem in the Ninteenth Century, Emergence of the New City. Martins Press, new York. 1984. P. 262.

(78) Scholch, Jerusalem; in Asali (Editor), Jerusalem in History, P.209.

(٧٩) أحباء صهيون: حركة تهدف إلى تجميع الشعب اليهودي في فلسطين، ظهرت بين

يهود روسيا في بداية ثمانينيات القرن التاسع عشر وقد ترأسها ليو بنسكر Leo Pnisker سنة ١٨٨٢م الداعي الأول للحركة الصهيونية والاستيطان الصهيوني في فلسطين، انظر: جرينفيم، إسحاق، الحركة الصهيونية، ترجمة: جودت السعد، دار الجاحظ للنشر والتوزيع، إربد، ١٩٨٤م، ص٣٧-٣٩.

(٨٠) بني المرجة، موفق، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبدالحميد الثاني والخلافة، مؤسسة صقر الخليج، الكويت، ١٩٨٤، ص٢١٦.

(81) Al-Khalil, Tawfik, Jerusalem From 1947-1967, Apolitical Survey, 3rd Edition, Amman, 1998. P.5

(*) إدموند جيمس دي روتشيل Edmond de Rothschild ١٨٤٥-١٩٣٤م: أحد زعماء الفرع الفرنسي لعائلة روتشيل المالية اليهودية. وكان من الداعمين لفكرة الصهيونية ومن المؤمنين بفكرة "العودة" وأرض الميعاد، وقد لعبت تبرعاته السخية للحركة الصهيونية، دورًا كبيرًا للحركة خلال سنواتها الأولى الأمر الذي ساهم في إنشاء إسرائيل. ويكيبيديا.

(٨٢) جرينفيم، إسحاق، الحركة الصهيونية، ص٦٣، Al-Khalil, Tawfik, Jerusalem From 1947- 1967, P.5

(٨٣) أبو بكر، أمين، **ملكية الأراضي في متصرفية القدس ١٨٥٨-١٩١٨م**، مؤسسة شومان، عمان، ١٩٩٦م. ص٥٩٩.

(٨٤) مصطفى، أحمد عبدالرحيم، موقف الدولة العثمانية، ص٦٦٤، عوض، عبدالعزيز، "القدس وسياسة الدولة العثمانية"، ص١١. Hayamson, Albert, The British Consulate, PP. 262-265

(٨٥) هيرتزل، يوميات هيرتزل، إعداد: أنيس الصايغ، ترجمة: هيلدا شعبان، د.ن، بيروت، ١٩٦٧م، ص٤١-٥٠.

(٨٦) ثيودور هرتزلTheodor Herzel: يهودي الأصل ولد في بودابست سنة ١٨٦٠م ومات سنة ١٩٠٤م، وأقام في فينا، اشتغل في التأليف المسرحي والصحافة وألف كتاب "الدولة اليهودية" سنة ١٨٩٦م والمعروف أن الصهيونية بقيت مقتصرة على التخطيط حتى تمكن هرتزل من عقد المؤتمر المذكور، كما يعتبر المؤسس الأول للصهيونية كحركة سياسية، مات في سنة ١٩٠٤م ونقلت رفاته إلى فلسطين، انظر: ميلمان، يوسي، الإسرائيليون الجدد مشهد تفصيلي لمجتمع متغير، ترجمة: مالك البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٢م. ص٣٧، محمود، أمين، مشاريع الاستيطان، ص١٥٤. Encyclopedia Judaica, Vol. 5

(٨٧) هيرتزل، يوميات هيرتزل، ص٨٩.

(٨٨) **المصدر نفسه**، ص٨٩.

(٨٩)كوثراني، وجيه، "فرنسا وفلسطين والصهيونية، المؤتمر الدولي الثالث لبلاد الشام في مطلع القرن العشرين"، مج٣، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩م، ص٥٤.

(90) Bin Arieh, Jerusalem, PP.126-131. 278-279. □

(٩١) جريس، سمير، القدس، المخططات الصهيونية، الاحتلال والتهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨١م، ص١٩.

(٩٢) العابدي، محمود، قدسنا، ص١٣٥، عوض، عبدالعزيز، "القدس وسياسة الدولة العثمانية"، ص١١٣. العناني، جاسر، القدس، **دراسات قانونية وتاريخية، جمعية** عمال المطابع التعاونية، عمان، ٢٠٠٣م، ص٨٢.

(٩٣) أبو بكر، أمين، **ملكية الأراضي في متصرفية القدس**، ص٦٠٠.

(٩٤) سجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، رقم ٣٥٧، ١٣ حزيران ١٨٧٠، ص٣٤٣.

(٩٥) سجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، ٢حزيران ١٨٦٨، ص٩٩. والقيراط: وحدة قياس وهو جزء من ٢٤ جزءًا من الفدان، أي ما يعادل ١٧٥ متر. hانظر: ويكيبيديا.

(96) F.O. 798/20, No 23, Separate Jerusaem, 6th June. 1869.

(٩٧) سجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، رقم ٣٥٧، ٢٨ كانون الأول ١٨٧٣م، ص١١٩. وسجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، رقم ٣٦٠، ١٤ تشرين الثاني ١٨٧٢م، ص٣٤٤.

(٩٨)سجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، رقم ٣٥٩، تشرين الأول ١٨٧٢م، ص٦٣.

(٩٩)سجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، رقم ٣٦٠، ٢٣ تشرين الثاني ١٨٧٢م، ص٣٤٤.

(١٠٠) البيع الوقائي: هو أن يبيع شخص لآخر أشياء منقولة أو غير منقولة بمبلغ معين بشرط أن يرد له المبيع متى جاء بالثمن المتفق عليه. ويكيبيديا.

(١٠١) انظر على سبيل المثال وليس الحصر: سجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، رقم ٣٤٤، ٢٨ آب ١٨٦١م، ص١٩٠. وسجل المحكمة الشرعية في مدينة القدس، رقم ٣٥٩، ٢٣ حزيران ١٨٧١م، ص٥٣.

(١٠٢) للتوسع في هذا الموضوع انظر: عوض، عبدالعزيز، متصرفية القدس الشريف ١٨٧٤-١٩١٤م، ص٢٤٦-٢٤٧.

(١٠٣) المرجع نفسه، ص٢٤٧.

(١٠٤)افنيري، اريه، دعوه نزع الملكية والاستيطان اليهودي والعرب في الفترة ١٨٧٨-١٩٤٨م،ترجمة:شريف البرغوثي،

دار الجـــليل للنشـــر والتوزيـــع، عمـــان، ١٩٨٦م، ص٧٣.

(١٠٥) العـــارف، عـــارف، المفصـــل في تـــاريخ القدس ١٨٩٢-١٩٧٣م،مكتبـة الأنـدلس، القدس، ١٩٦١م، ص٢٩٦.

(١٠٦)جريدة البشير، ع ٦٦٠، ٣ أيار ١٨٨٣م.

(١٠٧) جريـدة المؤيـد، ع ٢٨٨٢، ١٥ تشـرين الأول ١٨٩٩م، ص٢.

(١٠٨) جريدة المقتطف، الجزء ٢٢نيسان ١٨٩٨م، ص٣١٠.

(١٠٩) عنـدما كانـت الدولـة العثمانيـة في أوج مجدها وقوتها منحـت بعـض رعايـا الـدول الأوروبية إعفـاء مـن القـوانين المحليـة أثنـاء إقامتهم في بعض الموانئ أو محطات القوافـل التجارية. وحينما ضعفت الدولـة، سـرعان ما تغير الغرض الأساسي مـن الامتيـازات، فتحول إلى حمايـة رعاياهـا. فادعـت فرنسـا حمايـة النصـارى الكاثوليـك في جميـع أنحـاء الدولـة العثمانيـة، وادعـت روسـيا حمايـة الأرثوذكس، وادعت بريطانيا حماية اليهـود في فلسطين والبروتستانت في جميع الولايات العثمانيـة. فشـملت الحمايـة بعـض اليهـود والنصارى الذين اكتسـبوا جنسـية أو حمايـة دولـــة أجنبيـــة بالعمـــل في القنصـــليات والوكـالات التجاريـة أو المعاهـد العلميـة. فأصبحت الامتيازات عبئاً ثقيلاً على كاهـل الدولـة العثمانيـة وطريقـة قانونيـة لتـدخل الدول الأجنبية في شؤونها الداخلية. أنظر:

Tibawi, A.L.: British Interests in Palestine 1800–1901, Oxford University Press, London, 1961, pp. 190-192.

(١١٠) الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصـة ق٢، مـــج٦، ص٨٤٩؛ الـــدباغ، بلادنـــا فلسطين، ق٢، مج١٠، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٤م، ص٤٩-٥٠؛الريـان، رجـائي، "القدس في العهد العثماني"، ص٢٦٦.

(١١١) حجازي، عرفات، الصـهيونية: نشـأتها وقيادتهـا ومنظماتهـا السـرية، د.ن، د.م، ١٩٨٠م، ص٥٦.

(112) Hayamson, Albert, The British Consulate, PP.477.

(١١٣) العابدي، محمود، **قدسنا**، ص١٣٤.

Scholch, Jerusalem; in Asali (Editor), Jerusalem in History, P.244.

(114)Poarth, Yashua, The Emergence of the Palestine-Arab National Movement 1918-1929, Frank Cass, London, 1974. P.26.

(١١٥) **المرجع نفسه**، ص٤٨٨.

(116)F .O. 78/1848, Separate Jerusaem, 6th April. 1894.

(117) Poarth, The Emergence, P.26.

(١١٨) أبـو بكـر، أمـين، **ملكيـة الأراضـي**، ص٦٠٠.

(119) F.O37/356, NO 62. Jerusalem, Nov. 1907.

(١٢٠)ميلمان، يوسـي، **الإسـرائيليون الجـدد**، ص٤٤.

(١٢١)هرتزل، **يوميات هرتزل**، ص٤٧.

(١٢٢) السلطان عبدالحميد الثاني، مذكراتي السياسية، ١٨٩١-١٩٠٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٤.

(١٢٣)هرتزل، **يوميات هرتزل**، ص٣٥.

(١٢٤) الحوت، بيان، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٦م. ص١٤.

(١٢٥) أمين، محمود، مش**اريع الاستيطان**، ص١٧٤.

(١٢٦) فن، جيمس، **أزمنة مثيرة**، ص٧٤٨.

(١٢٧) أمين، محمود، **مشاريع الاستيطان**، ص١٧٦.

(١٢٨) المسيري، عبدالوهاب، اليهود ودولة إسرائيل في الاستراتيجية الغربية،

as Maintained on web site: http: www.aljazeera.net October 2004.

(١٢٩) بني المرجة، موفق، صحوة الرجل المريض، ص٢٢٨.

(130) F.O 456/NO 22326. Jerusalem, April. 1914.

(١٣١) بني المرجة، موفق، **صحوة الرجل المريض**، ص٢٢٨.

(١٣٢) منسي، محمود، **تاريخ الشرق العربي الحديث**، دار الوزان للطباعة والنشر، د.م، د.ت.، ص٤٧٥.

(١٣٣) شراب، مجاهد، **الأرض الفلسطينية في ظل الإدارة العسكرية والانتداب البريطاني ١٩١٨-١٩٤٨م**، شؤون عربية، ع ٤٤، ص١٠٥، ١٩٨٥م. الريان، رجائي، **"القدس في العهد العثماني"**، ص٢٠٧.

(١٣٤) شراب، مجاهد، **الأرض الفلسطينية**، شؤون عربية، ع ٤٤، ص١٠٥؛ الريان، رجائي، "القدس في العهد العثماني"، ص٢٠٧.

(١٣٥)الموسوعة الفلسطينية، **الدراسات الخاصة**، ق٢، مج٦، ص١١.

(١٣٦) يحيى، جلال، **العالم العربي الحديث**، ج١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٥١٠.

(١٣٧) حاييم وايزمان: ولد في روسيا، ثم برز كعالم كيميائي. شارك في جميع المؤتمرات الصهيونية عدا المؤتمر الأول، هاجر إلى بريطانيا ١٩٠٤م. وعمل مدرساً في جامعة فيكتوريا، في مانشستر، خلف هرتزل في قيادة الحركة الصهيونية: انظر: منظمة التحرير الفلسطينية، الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٧م، ص٤٤٣.

(١٣٨) وزارة الدفاع الوطني، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، الجيش اللبناني والأركان العامة، الشعبة الخامسة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٣م، ص٧٠-٧١.

(١٣٩) بلفور (١٨٤٨-١٩٣٠م) سياسي بريطاني من حزب المحافظين. شغل عدة

مناصب سياسية مهمة بالحكومة البريطانية وكان أهمها نائب رئيس الوزراء، ورئيس حزب المحافظين وبفعل الهزائم السياسية المتوالية، اضطر للتنازل عن رئاسة الحزب، اشترك بالحكومة الائتلافية، ثم أصبح وزيرا للخارجية في حكومة لويد جورج. اعتزل السياسة عام ١٩٢٢م حتى موته. انظر: الهزايمة، محمد، **الصراع العربي الإسرائيلي،** رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩م. ص٣١.

(140) Weizmann, Trial and Error, Hamish, Hamilton, London, 1949. P.189.

(١٤١) وزارة الدفاع الوطني، القضية الفلسطينية، ص٧١.

(١٤٢) الموسوعة الفلسطينية، **الدراسات الخاصة،** ق٢، مج٦، ص٨٥١.

(١٤٣) المرجع **نفسه**، ص٨٥١.

(١٤٤) محافظة، علي، **العلاقات الألمانية** الفلسطينية، ص١٦٧.

(١٤٥) تصريح بلفور: صدر هذا التصريح عن وزير الخارجية البريطاني آرثر جيمس بلفور في رسالة بعث بها إلى زعيم الطائفة اليهودية في بريطانيا "اللورد وتشيلد" في الثاني من تشرين الثاني-١٩١٧م، وتضمن عطف الحكومة البريطانية على المشروع الصهيوني الرامي إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وبذل خير مساعيها لتحقيقه، شريطة عدم إلحاق الضرر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية ففي البلاد أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود على البلدان الأخرى، وبمركزهم السياسي. انظر النص الأصلي لوعد بلفور في: Palestine Royal Commission Report presented by the Secretary of state for the Colonies to Parliament by command of his Majesty, (London, H.M.S.O July 1937) P.22.

(١٤٦) محافظة، علي، ال**علاقات الألمانية،** ص١٧١؛ وزارة الدفاع الوطني، القضية الفلسطينية، ص٧١.

(١٤٧) وايزمان، مذكرات وايزمان بقلمه (أوراق وايزمن)، د.ن، د.م، ١٩٥٢م، ص٦٣.

(١٤٨) المسيري، عبدالوهاب، **اليهود ودولة إسرائيل في الاستراتيجية الغربية،**

as Maintained on web site: http: www.aljazeera.net October 2004.